بتضحية اصدقائه في سبيل روح الوفاق والانفراج . اي ان المصالح المحلية والملموسة قد فازت على التجريدات الكونية عندما وضعت على المحك .

ثالثا : الموقف السائد نحو العالم العربي والذي اتخذه صانعو السياسة من ازمة المنطقة ، هذا الموقف جاءت الحرب لتتحداه . فالمصريون والسوريون ابلوا بلاء حسنا في القتال . واستفادوا من عنصر المفاجأة في الهجوم الاول . وبدرجة التضامن العربي كانت تبعث على الاعجاب . أما استخدام سلاح البترول فقد كان منسقا بشكل جيد مع التحركات الدبلوماسية والعسكرية . وتجلت نغمة ضبط النفس في التصريحات الخاصة والعامة .

هنا يشير كوانت إلى حدوث تحول او نقلة في السياسة الاميركية ، حيث جاء ذلك على صعيدي الكم والنوع . كيف تفسر هذا التحول ؟ هناك ما يغري الباحث ــ على حد قوله ــ بالسعي للعثور على تفسيرات لهذا التحول في ميدان السياسة الداخلية أو مجال البيروقراطية، أو في التكوين السيكولوجي للأفراد المعنيين فالموضوعات المتكررة على الدوام خلال هذه الأزمة كانت : فضيحة ووترغيت وأزمة الطاقة . ويقول كوانت في معرض تحليله لهذه الظاهرة التي تجلت في صعود نجم هنري كيسنجر بان :

« فترات الأزمات تميل بنوع خاص إلى عزل صانعي السياسة عن الضغوط الداخلية والاهلية ... والقرارات كانت استجابات لأحداث خارجية بدا انها تتطلب العمل الملح والمتسارع » (ص ٢٠٣) .

أما مفتاح الاجماع الذي تبدى لدى كبار المسؤولين الاميركيين وصانعي القرارات السياسية فمرده الى قدرة هنري كيسنجر على ان يستمد ويغرف من سلطة الرئيس نيكسون » . ويجب اعتبار كيسنجر في هذه الحالة « امتدادا للرئيس » . إذ كان وجده على اتصال مباشر ومستمر بالرئيس نيكسون . بينما جاءت حرب اكتوبر لتظهر مجددا محورية دور الرئيس الاميركي في صنع السياسة الخارجية ، خاصة إبان الأزمات (ص ٢٠٤) . والحق يقال ان هذه العبرة المستخلصة لطالعنا في جميع فصول الكتاب ، اي الدور المحوري للزعامة الرئاسية الاميركية في صنع السياسة الخارجية واتخاذ القرارات خلال الازمات .

وحين بادر كيسنجر الى تدشين دبلوماسية الخطوة خطوة وباشر القيام في رحلاته المكوكية ، بدأت الولايات المتحدة تلعب دور الوسيط . يقول كوانت في معرض تقويم هذه السياسة ما يلي : « إن سياسة نيكسون ــ كيسنجر قد أمكن النظر إليها بوصفها موالية لاسرائيل . وموالية للعرب . وموالية للوفاق الدولي او مناوئة للسوفيات : وذلك تبعا للشيء الذي كان المرء يبحث عنه » (ص ٢٠٥) .

ومن الاستنتاجات التي يتوصل إليها كوانت في دراسته عن القرارات وصنعها إبان الازمات ان صانعي السياسة الاميركية قد افرطوا احيانا في تقدير مركزية الوضع الكوني (الدولي) لدى تعاملهم مع ازمات الشرق الاوسط ، وغالبا ما جرى ذلك على حساب فهم دقيق للتطورات الاقليمية .

ففي الفصل الاخير من كتابه يتحدث كوانت عن السلام المرحلي والدروس المستفادة من الماضي وبعض التصورات الخاطئة او المغلوطة ، هذا بالاضافة الى اطار للسلام والدور الاميركي في التسوية والخطوط الاسترشادية للمستقبل . طبعا ، هناك إشارة واضحة الى تقرير لجنة بروكينغز وإلى خطأ المفهوم النيكسوني في الربط Linkage والقائل بامكانية إبعاد السوفيات عن اصدقائهم في الشرق الاوسط لمصلحة الوفاق والانفراج الدوليين ، وكذلك خطأ الاعتقاد القائل بانه يمكن الحيلولة دون نشوب حرب من خلال الحفاظ على توازن عسكري يميل لمصلحة اسرائيل ، وخطأ الاعتقاد بان عنصر الوقت يعمل لمصلحة السلام . إلى ان يقول بضرورة التوصل إلى حمل القاهرة ودمشق والرياض والقدس على اتخاذ قرارات السلام وليس في موسكو او واشنطن .

ان كوانت لا يخفي امتعاضه من مفهوم « التسوية الاجمالية » Package Settlement ، وتفضيله للحل المرحلي في إطار من المبادىء المتفق عليها . فهو ينبه إلى صعوبة تجاهل الفلسطينيين ويسجل اثرهم البعيد في الأزمات التي يعالجها الكتاب ، إلى ان يقول :

« إنهم لا يملكون ما يقدمونه من تنازلات سوى تنازل واحد كبير ، الاعتراف باسرائيل ، لكنهم لا يستطيعون لعب هذه الورقة سوى مرة واحدة ، وبالتالي فانها ورقة تلعب في آخر اللعبة لا في اولها ، هذا إذا لعبت » .

وفي السياق النهائي ، ترسو المسألة عند مقام